قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الإسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة:https://djisrs.dws.gov.iq

أثر السياق التداولي في بناء الدلالة المقامية والانسجام النصي عند طه عبد الرحمن في كتابه روح الحداثة

The impact of the pragmatic context on the construction of situational meaning and textual coherence in Taha Abd al-Rahman's book, The Spirit of Modernity

م.م. محمد خليل ابراهيم علي*

الكلية التربوية المفتوحة–مركز صلاح الدين– فرع الدجيل

Keywords:

Pragmatics, Pragmatic Domain, Taha Abderrahman, Context, Intentionality, Textual Cohesion.

Abstract

Pragmatics is considered one of the most influential approaches that has guided linguistic and philosophical studies toward emphasizing language use, context, and the roles of the speaker and addressee in meaning construction. The Arab-Islamic intellectual tradition, particularly heritage discourse, represents a significant field for demonstrating this perspective, as it goes beyond the study of abstract linguistic structures to focus on the interpretation of meaning, communication, and interaction within the pragmatic domain. The Moroccan philosopher Taha Abderrahman stands out as a prominent thinker who established a pragmatic framework for analyzing Arab-Islamic discourse from within, linking language with creed and knowledge, and defining the essential components and mechanisms of the pragmatic domain in achieving effective communication and influence. This study aims to explore the impact of pragmatics on building contextual meaning and the structural regulation of texts, through analyzing the role of context, intentionality, and action in activating meaning. The research adopts a descriptive-analytical method, tracing Abderrahman's mechanisms in his book "Spirit of Modernity", such as debate, objection, behavioral cultivation, and connecting speech with action, as tools for producing coherent and effective discourse. The study concludes that Abderrahman's pragmatic approach revitalizes the functional and practical dimension of discourse, linking text to ethical and cognitive reality, making language a tool for communication and civilizational impact rather than a mere formal system. The findings also demonstrate that contextual meaning emerges from the harmony of the three pillars of the pragmatic domain—language, creed, and knowledge—with the context, reflecting the ability of pragmatics to guide thought and action and achieve the civilizational effectiveness of discourse.

***M.M.Mohammed Khlil Ibrahem Ali**

mohamed.khlil.co@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ المقال:

القبول: ١٤/٧/٢٠٢٦

الكلمات المفتاحية:

التداولية، المجال التداولي، طه عبد الرحمن، السياق، القصدية، الانسجام النصي.

الملخص

تعد التداولية من أبرز المقاربات الفكرية التي أسهمت في توجيه الدراسات اللغوية والفلسفية نحو الاهتمام بالسياق الاستعمالي للغة ودور المتكلم والمخاطب في إنتاج المعنى. وقد شكل الفكر العربي الإسلامي، وخصوصًا خطاب التراث، مجالًا مهمًا لإبراز هذا التوجه، إذ لم يقتصر على دراسة البنية اللغوية المجردة، بل ارتبط أساسًا بفهم الدلالة والتواصل والتفاعل داخل المجال التداولي. ويبرز الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن كأحد أبرز الدارسين الذين أسسوا رؤية تداولية تحلل الخطاب العربي الإسلامي من الداخل، من خلال ربط اللغة بالعقيدة والمعرفة، وتحديد أركان المجال التداولي وآلياتها في تحقيق التواصل والتأثير. تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر التداولية في بناء الدلالة المقامية والانضباط التداولي للنص، من خلال تحليل مفهوم السياق والقصدية ودور العمل في تفعيل المعنى. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، متتبعًا آليات طه عبد الرحمن في كتابه "روح الحداثة"، مثل المناظرة، الاعتراض، التخلّق السلوكي، وربط القول بالفعل، بوصفها وسائل لإنتاج خطاب متماسك وفاعل. وتوصلت الدراسة إلى أن المقاربة التداولية عند طه عبد الرحمن أسهمت في إحياء البعد العملي والنفعي للخطاب، وربط النص بالواقع الأخلاقي والمعرفي، مما يجعل اللغة أداة للتواصل والتأثير الحضاري، لا مجرد نظام شكلي. كما أظهرت النتائج أن الدلالة المقامية تتحقق من انسجام أركان المجال التداولي الثلاثة—اللغة، والعقيدة، والمعرفة—مع السياق، بما يعكس قدرة التداولية على توجيه الفكر والعمل وتحقيق الفاعلية الحضارية للنص.

١. المقدمة

يعد النحو العربي من أهم العلوم اللغوية التي أسهمت في حفظ اللغة العربية وضبط بنيتها التعبيرية، غير أنّ النظر إليه بوصفه نظامًا شكليًا محضًا قد حجَب جانبًا مهمًا من وظيفته الأصلية المرتبطة بفهم المعنى وتوجيه الخطاب. نشأ النحو في سياق تفسير النص القرآني وبيان دلالاته، مما جعل العلاقة بين المبنى والمعنى أساسًا في الفكر النحوي العربي منذ بداياته. ومع تطور الدراسات اللسانية الحديثة، برزت التداولية بوصفها اتجاهًا يعيد الاعتبار للسياق الاستعمالي والقصدية التواصلية، مؤكدة أن المعنى لا يتحدد بالبنية اللغوية وحدها، بل يتشكل من خلال التفاعل بين المتكلم والمخاطب والمقام الخطابي. وقد أسهم هذا التحول في إعادة قراءة التراث النحوي العربي من منظور وظيفي يربط القاعدة اللغوية بالاستخدام الواقعي للغة، وهو ما تجلّى بوضوح في

أعمال فاضل صالح السامرائي، الذي سعى إلى إعادة بناء التحليل النحوي على أساس دلالي تداولي، مستندًا إلى النص القرآني بوصفه النموذج الأعلى للاستعمال اللغوي الدقيق. وأوضح السامرائي أن اختلاف التراكيب اللغوية ليس تنوعًا شكليًا فحسب، بل اختلافًا دلاليًا مقصودًا تحكمه طبيعة السياق ومقتضيات الخطاب.

انطلاقًا من هذا التصور، تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة منهج السامرائي النحوي في ضوء التداولية، للكشف عن الأسس التي اعتمدها في تفسير الظواهر النحوية وربطها بالقصدية والسياق، ومحاولة الإجابة عن إشكالية رئيسة مفادها: هل يمكن النظر إلى النحو العربي بوصفه نظامًا تداوليًا لإنتاج المعنى؟ وكيف أسهم السامرائي في إعادة توجيه الدرس النحوي نحو وظيفته التواصلية؟

خلفية البحث:

شهدت الدراسات اللغوية في القرن العشرين تحولات منهجية عميقة، انتقلت بالبحث اللغوي من دراسة البنية المجردة إلى تحليل اللغة في سياق استعمالها الفعلي. وأسهمت التداولية في هذا التحول من خلال التركيز على أفعال الكلام، والقصدية، والسياق، والاستلزام الحواري، بوصفها عناصر أساسية لفهم الخطاب وإبراز معانيه المرجعية. وقد أدى ذلك إلى إعادة النظر في العلوم اللغوية التقليدية، بما فيها النحو العربي، الذي بدأ يُقرأ من منظور وظيفي يتجاوز الجانب الصناعي والشكلي، ليصبح وسيلة لفهم الدلالة وتفسير الخطاب وفق مقتضيات التواصل الفعلي.

وفي هذا الإطار برزت محاولات حديثة لإحياء البعد الدلالي للنحو العربي، وكان فاضل صالح السامرائي من أبرز رواد هذا الاتجاه، إذ قدّم قراءة تفسيرية تربط بين الاختيار النحوي والمعنى المقصود، مستندًا إلى التحليل السياقي للنصوص، لا سيما النص القرآني، بوصفه نموذجًا أكمل للاستعمال اللغوي الدقيق. وقد كشف منهجه عن أن كثيرًا من القضايا النحوية لا يمكن تفسيرها تفسيرًا دقيقًا إلا من خلال مراعاة المقام التداولي والعلاقات التواصلية بين أطراف الخطاب. وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت جهود السامرائي، فإن البعد التداولي في

منهجه لم يحظ بتحليل مستقل يبرز آلياته النظرية والتطبيقية بصورة شاملة، وهو ما يشكّل منطلق هذا البحث ومحوره الأساسي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من سعيه إلى إبراز البعد التداولي في النحو العربي المعاصر من خلال دراسة نموذج تطبيقي يتمثل في منهج فاضل صالح السامرائي .فإعادة قراءة النحو في ضوء التداولية تتيح تجاوز الجمود التعليمي الذي حصره في القواعد الشكلية، وتعيد إليه وظيفته الأصلية بوصفه أداة لفهم المعنى وتحليل الخطاب، كما تتجلى أهمية الدراسة في توضيح أثر السياق والقصدية في تحقيق سلامة التركيب اللغوي، وإظهار أن صحة التعبير لا ترتبط بالإعراب وحده، بل بانسجام البنية اللغوية مع مقتضيات المقام التداولي. ويسهم البحث كذلك في ربط التراث النحوي العربي بالاتجاهات اللغوية الحديثة، بما يعزز استمرارية الفكر اللغوي العربي وتفاعله مع المناهج المعاصرة، ويمكّن الباحثين من تطوير أدوات جديدة لتحليل الخطاب وفهم مقاصده التواصلية.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الإطار العلمي لدراسة المقاربة التداولية عند فاضل السامرائي، من خلال تحليل نصوصه النحوية واستنباط الأسس النظرية التي يقوم عليها تفسيره للظواهر اللغوية، كما تم توظيف المنهج التداولي للكشف عن دور السياق والقصدية والاستعمال الفعلي للغة في توجيه المعنى، مع الاستفادة من التحليل النصي في دراسة الأمثلة التطبيقية، لا سيما النص القرآني، بوصفه نموذجًا غنيًا للدلالة والمقام التداولي. ويهدف هذا المنهج إلى إظهار العلاقة التفاعلية بين المبنى والمعنى، وعلاقة التركيب بالقصدية، بما يسهم في تقديم رؤية متكاملة للنحو العربي كأداة تحليلية للخطاب والتواصل.

٢.المبحث الأول: المرجعية التداولية ومفهوم المجال التداولي

١.٢.المطلب الأول: تعريف التداولية والمجال التداولي

ترتبط التداولية في جذرها العربي بمادة «دَوَلَ»، التي يدور معناها في المعاجم العربية حول محاور التحوّل والتبدّل والانتقال. وقد جاء في «لسان العرب» لابن منظور أن «تداولوا الشيء بينهم» أي «صار من بعضهم إلى بعض»، وأن «تداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة»،(١) وهو ما يُعزّزه ابن فارس في «مقاييس اللغة» بقوله إن الجذر يدل على «تحوّل الشيء من مكان إلى مكان»، وأن «تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار بعضهم إلى بعض»،(٢) فيما يُضيف الزمخشري في «أساس البلاغة» صورةً تطبيقية دالّة بقوله: «والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما».(٣) وهذه المعاني مجتمعةً تنطوي على مفهوم التبادل بين طرفين أو أكثر، الذي هو جوهر الفعل التداولي في اللغة.

وقد كان هذا المعنى اللغوي العميق هو الذي دفع الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن إلى اختيار مصطلح «التداولية» ترجمةً للمصطلح الغربي Pragmatique منذ سنة ١٩٧٠م، مستندًا إلى ما يجمعه لفظُ «تداول» من معنيَين أساسيَّين هما التواصل والتفاعل. يقول في توصيف هذا الاختيار: «تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم... فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين، فيكون التداول جامعًا بين اثنين هما: التواصل والتفاعل».(٤) وهو ما يجعل مصطلح

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، المجلد ٢، ص٤٣٢.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت، المجلد ٢، ص٣١٤

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٠٣.

(٤) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٢٤٤

التداولية في نظره أكثر دقةً واستيعابًا من نظيره الغربي.

وعلى المستوى الاصطلاحي، ارتبط مفهوم التداولية في أصله الأجنبي بالفيلسوف السيميائي تشارلز موريس Charles Morris الذي حدّده عام ١٩٣٨م بأنه «جزء من السيميائية الذي يعالج العلاقات بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»،(١) وأدرجه ضمن ثلاثة فروع كبرى: علم التراكيب، وعلم الدلالة، وعلم التداول. ومن ثَمَّ تعدّدت التعريفات الاصطلاحية تعددًا يعكس اتساع هذا المجال وتشعّب روافده؛ إذ يرى محمود أحمد نحلة أنها «دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل»، مما يشير إلى أن المعنى ليس متأصلًا في الكلمات وحدها، وإنما يتمثّل في تداولها بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد وصولًا إلى المعنى الكامن في الكلام،(٢) في حين يرى مسعود صحراوي أنها «علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره».(٣)

ومن هذا المنطلق ابتكر طه عبد الرحمن مفهوم «المجال التداولي» بوصفه الأداة النظرية الأنسب لتحليل الخطاب العربي الإسلامي من داخله. وقد عرّفه بأنه «وصف لكل مظهر من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم»، وهو في الوقت نفسه «وصف لكل ما كان نطاقًا مكانيًا وزمانيًا لحصول هذا التواصل والتفاعل».(٤) ويتضح من هذا التعريف أن المجال التداولي لا يُعنى بالبنية اللغوية المجردة، بل يستوعب الشبكة الكاملة من العلاقات التواصلية والسياقات الزمانية والمكانية التي تنبثق فيها الخطابات وتُتداول.

٢.٢.المطلب الثاني: أركان المجال التداولي

يقوم المجال التداولي في مشروع طه عبد الرحمن على بنية مركّبة تنتظم

(١) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١١

(٣) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٥

(٤) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٥٥.

عناصرها في منظومة متكاملة تشمل اللغة والعقيدة والمعرفة. وقد حدّد طه عبد الرحمن هذا المجال بأنه «نطاق مكاني وزماني لحصول التواصل والتفاعل»،[١] إذ يحمل كل ما يرد عليه من ألوان الثقافة ومظاهر الحضارة على التبدّل بحسب مقتضياته التواصلية والتفاعلية، وذلك انطلاقًا من ثلاثة أسباب محدِّدة هي: أسباب لغوية، وأسباب عقدية، وأسباب معرفية. وهذه الأسباب الثلاثة ليست عناصر منفصلة بل أركان متداخلة يُكمل بعضها بعضًا في تشكيل فاعلية التواصل داخل المجال.

فأما الركن اللغوي فهو أول هذه الأركان وأقواها أثرًا في تحقيق التواصل؛ إذ تُعدّ اللغة من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب والتأثير فيه، وبقدر ما تكون هذه الأسباب مألوفةً للمخاطب وموصولةً بزاده من الممارسة اللغوية فهمًا وعملًا، يكون التبليغ أفيد والتأثير أشد.[٢] ويتجلى هذا الركن في وظيفتين متلازمتين؛ وظيفة البيان التي تقتضي أن تكون اللغة مُبيّنةً مُفصحةً، ووظيفة التبليغ التي تقتضي أن تكون مُبلِّغةً ناقلةً للمقاصد. يقول طه عبد الرحمن: «فاستعمال اللغة إذن أن تكون مبيّنة... واستكمال اللغة أن تكون مبلِّغة».[٣] والجمع بين هاتين الوظيفتين هو ما يجعل اللغة ركنًا فاعلًا لا مجرد وعاء شكلي في المجال التداولي.

وأما الركن العقدي فهو الذي يُضفي على التواصل عمقه الروحي وخصوصيته الحضارية؛ إذ يرى طه عبد الرحمن أنه لولا الصبغة العقدية لما سعى المتكلم إلى الحث على النهوض واستئناف العمل الذي بدأه السلف، فلا تواصل ولا تفاعل إلا بالمعرفة المتوسِّلة باللغة والمبنيّة على العقيدة،[٤] التي على أساسها تتوسع المدارك العقلية وتنفتح

(١) عبد المجيد الصغير، "الرؤية التداولية للتراث في مشروع طه عبد الرحمن الفكري، من سياسة الخطاب إلى منطق الخطاب"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، استنادًا إلى: طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٥٤.

(٢) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٤٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٤٧.

بها آفاق العالم بالنسبة للمتفاعلين. وتتمثل وظيفة العقيدة في هذا الركن في الجمع بين الرسوخ والتقويم، بمعنى أن تكون العقيدة راسخةً في نفوس المتخاطبين مُقوِّمةً لسلوكهم ومساراتهم الفكرية. يقول طه عبد الرحمن: «استعمال العقيدة أن تكون راسخة... واستكمال العقيدة أن تكون مُقوِّمة».(١) وهذا ما يجعل الركن العقدي شرطًا لازمًا لتحقيق التواصل الحقيقي لا مجرد عنصر مُضاف إلى المجال.

وأما الركن المعرفي فيُشكّل القاعدة التي تُوحِّد عمل الركنين السابقين وتُحقق فاعليتهما؛ إذ يرى طه عبد الرحمن أن المجال التداولي يقوم على تطبيق المعارف والمقاصد تطبيقًا شاملًا على جميع أفراد المجال وعلى تحقيقها وتقويمها، «فلا معرفة بدون مقصد ولا مقصد بدون معرفة».(٢) وتتجلى وظيفة المعرفة في هذا الركن في الجمع بين النفع والتحقيق، بمعنى أن تكون المعرفة نافعةً في خدمة المجال ومُحقِّقةً لمقاصده. يقول: «استعمال المعرفة أن تكون نافعة... واستكمال المعرفة أن تكون محققة».(٣) وبهذا يغدو الركن المعرفي الأفق الذي تتحقق فيه غايات التواصل والتفاعل بصورتهما الكاملة.

وتبرز حركية هذه الأركان الثلاثة وتداخل عناصرها على مستوى الاستعمال والاستكمال؛ إذ لا تتعين الوظيفة التداولية لأي ركن منها حتى يقع استعماله وتتكامل وظيفته مع الأركان الأخرى. فالمجال التداولي يشمل اللغة المستعملة والثوابت العقلية وجانبًا من الممارسة المعرفية، إذ يكون العمل الذي تختص به هذه العناصر حاصلًا بالتراكم ومتغلغلًا في تاريخ المجتمع.(٤) وهذا التداخل بين الأركان هو الذي يجعل كل مجال تداولي متميزًا بأوصافه الخاصة به من تفاضل وتواصل وتفاعل،(٥) وتنبثق من هذه الأوصاف وظائف ثلاث متكاملة: وظيفة

(١) المرجع نفسه، ص٢٤٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٤٨.

(٤) عبد المجيد الصغير، مرجع سابق، استنادًا إلى: طه عبد الرحمن، سؤال العمل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٢م، ص٣٩.

(٥) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٥٧.

الإنهاض، ووظيفة الإنتاج، ووظيفة التوجيه.

وأي إخلال بهذه الأركان أو تجاهل لمقتضياتها يُفضي إلى اختلالات بنيوية عميقة في المجال التداولي؛ إذ يُؤدي الإخلال بها إلى تعطيل الوظائف والسقوط في الجحود العقدي والخمود اللغوي والجمود المعرفي،(١) ومن ثَمّ السقوط في التقليد والابتعاد عن أسباب الإبداع والانقطاع عن أسباب التقريب بين الثقافات والحضارات. وهذا ما دفع طه عبد الرحمن إلى توجيه نقد حاد للمشاريع الفكرية التي تناولت التراث العربي الإسلامي بأدوات مستوردة من مجالات تداولية مغايرة دون مراعاة لمقتضيات المجال التداولي العربي الإسلامي التي تشمل العقيدة واللغة والمعرفة.(٢)

وتتضح الأهمية الإجرائية لهذه الأركان حين نُدرك أن المشروع التداولي عند طه عبد الرحمن لا يهدف إلى وصف المجال التداولي وصفًا نظريًا مجردًا، بل يرومُ محليًا القضاء على آفة التقليد والاتباع نحو يقظة فلسفية، ويروم كونيًا نقد النزعة المركزية الغربية من خلال الكشف عن إمكانات الإبداع التي يتوفر عليها مجالنا التداولي.(٣) وبالتالي فإن تحديد أركان المجال التداولي وضبط علاقاتها البنيوية ليس غايةً في حد ذاتها، بل هو أداة لتحرير المثقف من اغتراب مزدوج: اغترابه عن مجاله التداولي الأصيل، واغترابه عن إدراك خصوصية الفكر الغربي وحدوده التداولية.

وخلاصة القول، أن أركان المجال التداولي الثلاثة عند طه عبد الرحمن – اللغة والعقيدة والمعرفة – ليست عناصر متوازية ومستقلة، بل أركان متشابكة يُكمّل بعضها بعضًا في تشكيل فضاء التواصل والتفاعل. وهذا التشابك هو ما يمنح المجال التداولي طابعه الخاص وما يُميّزه عن سائر المجالات، جاعلًا منه الإطار المرجعي الذي لا يمكن فهم الخطاب العربي

(١) المرجع نفسه، ص٢٧١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤٨.

(٣) طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٧٥.

الإسلامي ولا تأويله ولا إنتاج أفعاله الكلامية خارج حدوده ومقتضياته.

٣.المبحث الثاني: أثر السياق التداولي في بناء الدلالة المقامية

٣.١.المطلب الأول: السياق ودوره في تحديد المعنى

يعتبر طه عبد الرحمن أن اللغة ليست مجرد قوالب صورية، بل هي أداة تواصلية فاعلة تتحدد قيمتها داخل ما يسمى "المجال التداولي"، وهو النطاق الذي يمنح النص دلالته المقامية. ويعرّف طه هذا المجال بأنه: "نطاقًا مكانيًا وزمانيًا لحصول التواصل والتفاعل، حيث يحمل كل ما يرد عليه من ألوان الثقافة ومظاهر الحضارة على التبدل بحسب مقتضياته التواصلية والتفاعلية".(١) ومن هنا يبرز دور السياق بوصفه السبب المؤثر في النص الملفوظ، وبموجبه يُصاغ القول ليؤدي عملًا لغويًا يتجاوز مجرد الصحة النحوية إلى آفاق التأثير في المخاطب.

ويؤكد طه عبد الرحمن أن السياق هو الضابط الأساسي الذي يحصر احتمالات المعنى ويمنع تشتت الدلالات؛ إذ يذهب إلى أن: "القول الطبيعي مجردًا عن مقامه تصير محامله كثيرة ولا يتعيّن واحد منها إلا بتعيّن المقام، حتى إنه يصح الادعاء بأن الأصل في القول الطبيعي أن تتعدد معانيه إلى أن يثبت بالدليل خلاف ذلك".(٢) فالسياق بهذا المعنى هو الذي يرفع اللبس عن المعاني التي تتلبس بالمباني اللغوية، وبدونه يظل النص عاجزًا عن الوصول إلى غايته التداولية والتبليغية المنشودة.

ويرتبط دور السياق في تحديد المعنى عند طه عبد الرحمن ارتباطًا وثيقًا بـ"مبدأ القصدية"، حيث لا يمكن فصل الدلالة عن إرادة المتكلم وتوجهه نحو المخاطب. ويشير طه في هذا الصدد إلى أن القصد هو المبدأ الأساسي لإبراز الاستلزامات السياقية، ومقتضاه

---

(١) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٤٤.

(٢) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٨. ص٤٥. أثر السياق اللغوي وغير اللغوي في إبراز المعنى التداولي في العربية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تمنغست، الجزائر، المجلد ١٠، العدد ١، ٢٠٢١، ص١٢٥٦.

أنه: "لا كلام إلا مع وجود القصد".[١] وبناءً على هذا المبدأ، فإن المتلقي لا يكتفي بالوقوف عند الدلالة الظاهرة للقول، بل يُطالَب بتأويله وفق مقتضيات المقام، إذ قد: "يتفاوت مقصود القول عن مضمونه، فلا يتسارع إلى فهم المخاطب... فيكون المخاطب مطالبًا بتعقبه بمعونة القرائن المقالية والمقامية التي تتعلق بهذا التصريح".[٢]

وفي نهاية المطاف، يتحول السياق في منهج طه عبد الرحمن إلى أداة إنهاضية تربط القول بالعمل، مما يجعل التبليغ عملية نافعة ومؤثرة في الواقع الاجتماعي. فاللغة في نظره هي: "من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب وللتأثير فيه بحسب هذه المقاصد، وبقدر ما تكون هذه الأسباب مألوفة للمخاطب وموصولة بزاده من الممارسة اللغوية فهمًا وعملًا، يكون التبليغ أفيد والتأثير أشد".[٣] وبذلك، فإن السياق ليس مجرد إطار خارجي، بل هو جوهر العملية الدلالية التي تجمع بين فصاحة اللسان، ورسوخ العقيدة، ونفع المعرفة، ليتحقق بذلك الانسجام النصي الذي يربط النظر بالعمل.

٢.٣.المطلب الثاني: القصدية والعمل في الدلالة المقامية

يرى طه عبد الرحمن أن بناء الدلالة في الخطاب الفلسفي لا يتوقف عند حدود الروابط المنطقية الصورية، بل يتجاوزها إلى اعتبار "مبدأ القصدية" الركن الأساس في كل فعل كلامي؛ إذ لا يكون الكلام مفيدًا في نظره إلا إذا صدر عن إرادة واعية تتوجه نحو المخاطب بغرض الإفهام والتأثير. وفي هذا السياق، تتمايز الدلالة التداولية عن الدلالة المنطقية المجردة بكونها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمراد المتكلم، حيث يؤكد

(١) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص١٠٣. الدلالات الاستلزامية في القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير والتنوير، مجال واركاني، مجلة المعرفة، العدد٩، ٢٠٢٣م. ص٣٤٩.

(٢) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٥١. قصد المتكلم وأثره في توجيه الأحكام النحوية في كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لـ عبد القاهر الجرجاني، ساكر سمية، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة، ٢٠١٩م، ص ٢١.

(٣) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٤٥.

طه أن: "أهل العربية يشترطون القصد في الدلالة، فما يُفهم من غير المتكلم لا يكون مدلولًا للفظ عندهم؛ فإن الدلالة عندهم هي فهم المقصود، لا فهم المعنى مطلقًا، بخلاف المنطقيين، فإنها عندهم فهم المعنى مطلقًا سواء أكانت إرادة المتكلم أم لا، فظهر أن الدلالة تتوقف على الإرادة مطلقًا، مطابقة كانت أم تضمّنًا".(١) ومن هنا، يصبح القصد هو المبدأ المنشود لإبراز الاستلزامات السياقية والمقامية، وبموجبه يُطالَب السامع بتعقب المعاني من خلال القرائن المقالية والمقامية التي تمنع تفاوت مضمون القول عن مقصوده الحقيقي.

ويتصل مبدأ القصدية عند طه عبد الرحمن اتصالًا ضروريًا بـ"مبدأ العمل"، إذ لا قيمة لقول لا يتبعه فعل، ولا لنهضة فكرية تظل حبيسة التنظير المجرد. فالمجال التداولي في رؤيته هو نطاق زماني ومكاني لحصول التواصل والتفاعل الذي يربط القول بالعمل، وبحسب هذا المنظور فإن: "اللغة من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب وللتأثير فيه بحسب هذه المقاصد، وبقدر ما تكون هذه الأسباب مألوفة للمخاطب وموصولة بزاده من الممارسة اللغوية فهمًا وعملًا، يكون التبليغ أفيد والتأثير أشد في نظر طه عبد الرحمن".(٢) وبناءً عليه، تتحول اللغة من مجرد وظيفة اتصالية لنقل المعلومات إلى أداة إنهاضية تستحث دواعي الممارسة، وتجعل من الدلالة المقامية وسيلة لتحويل الأفكار إلى واقع أخلاقي وسلوكي ملموس يعيد للأمة فاعليتها الحضارية.

ويظهر هذا الترابط بين القصد والعمل بشكل جلي في كتاب "روح الحداثة"، حيث يؤسس طه عبد الرحمن لحداثة إسلامية تتبنى على "مبدأ التصديق" الذي يسد الثغرات التي وقعت فيها الحداثة الغربية نتيجة فصلها بين

(١) إدريس مقبول، أفق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١١، ص ٢٤. قصد المتكلم وأثره في توجيه الأحكام النحوية في كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لـ عبد القاهر الجرجاني، ساكر سمية، ص١٤.

(٢) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٤٥.

العلم والقيمة. ويتمثل هذا المبدأ في كونه: "الداعي إلى وجوب ربط القول بالفعل والنظر بالعمل".[١] إن هذا الربط يُخرج الحداثة الإسلامية من دائرة التقليد لواقع الحداثة الغربية المادية إلى دائرة الإبداع الموصول بالقيم، حيث يصبح القصد الأخلاقي هو الموجه الدلالي لمعاني المصطلحات، مما يضمن استمرارية الفكر وبعث التجديد فيه من خلال تحويل الخطاب إلى ممارسة تداولية حية؛ فكل من يدعي الحداثة دون أن يكون في سلوكه فعل يصدق قوله فليس بصاحب حداثة، لأن: "الأخلاق صفات ضرورية يختل بفقدها نظام الحياة لدى الإنسان، وليست هي مجرد صفات عرضية أو كمالية لا يقدح تركُها إلا في مروءته". وفي الختام، يتبين أن الدلالة المقامية عند طه عبد الرحمن هي دلالة "تعاملية" بامتياز، تشترط حضور المتكلم بوصفه ذاتًا فاعلة ومؤيدة برتبة إنسانية عالية، لا مجرد ناقل للآراء. فالكلام في حقيقته يتأسس على قصدين متداخلين يحددان ماهيته التخاطبية، وهما: "التوجه إلى الغير الذي يقتضي إدراك المتكلم لرتبة المتلقي في إلقائه الكلام، وإفهام هذا الغير الذي يقتضي حصول إرادة إفهام الغير بإدراك المتكلم لرتبة الفاهم في المفهوم الذي قصده في إفهامه".[٢] ومن خلال هذا التأسيس، يحقق طه عبد الرحمن الانسجام النصي والمعرفي الذي يزاوج فيه بين النظر العقلي والعمل الأخلاقي، جاعلًا من السياق التداولي الإسلامي إطارًا مرجعيًا لبناء دلالات مقامية ترتقي بالحداثة من مستواها المادي إلى مستواها الروحاني والعملي الرشيد.

٤.المبحث الثالث: الانسجام النصي وآليات البناء في "روح الحداثة"

١.٤.المطلب الأول: آلية المناظرة والانسجام الحجاجي

لا يقوم خطاب طه عبد الرحمن في كتابه "روح الحداثة: المدخل إلى

(١) حسان الباهي، الحوار ومنهجية النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب (د.ط) ٢٠٠٤م. ص١٣٢. الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث طه عبد الرحمن أنموذجًا، بلخيري لخضر، جامعة بسكرة، ص ١٨٥.

(٢) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص١٠٣. مفهوم الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمن، مذكرة ماستر، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، ص٣٤.

تأسيس الحداثة الإسلامية" على مجرد عرض أفكار مجردة، بل ينهض على بنية تداولية محكمة تجعل من السياق التداولي رافدًا أصيلًا في إنتاج الدلالة وتوجيهها. وهذا السياق التداولي لا يُفهم هنا بمعناه الضيق المتعلق بأحوال المتكلمين وملابسات القول فحسب، وإنما بمعناه الفلسفي الأشمل الذي يستدعي جملة العلاقات القائمة بين المرسِل والمرسَل إليه والنص والمقام. وقد حدّد طه عبد الرحمن منهجه التداولي بدقة حين أكد أن المجال التداولي الإسلامي–العربي ينبني على أصول لغوية وعقدية ومعرفية تضبطها قواعد تقوم بوظائف مخصوصة، وأن مخالفتها تؤدي إلى آفات تداولية تختلف درجة ضررها باختلاف أنواع هذه القواعد وعددها.

ومن أبرز الآليات التي اعتمدها طه عبد الرحمن في بناء انسجامه الحجاجي آليةُ المناظرة التراثية، التي لم تكن في نظره مجرد أسلوب بلاغي موروث، بل منهجية تداولية راسخة تقوم على جملة من الوظائف المنطقية والأخلاقية. وقد أوضح الباحث طبيعة هذه المنهجية بقوله: «ولما ألزمنا أنفسنا بهذه المبادئ النظرية والعملية، فقد حملنا ذلك على أن نأخذ في بحثنا بمنهجية تعتمد أساسًا مسلكًا حواريًا موصولًا بالطريقة التي اشتهرت بها الممارسة التراثية، وهي: طريقة أهل المناظرة. ومعلوم أن هذه الطريقة التي شملت جميع دوائر المعرفة الإسلامية العربية، تنبني على وظائف منطقية تأخذ بمبدأ الاشتراك مع الآخرين في طلب العلم وطلب العمل بالمعلوم، كما تنبني على قواعد أخلاقية تأخذ بمبدأ النفع المتعدي إلى الآخرين أو إلى الآجل.[1]

وما يمنح هذه المنهجية قدرتها على بناء الانسجام النصي هو أنها لا تستعير آليات المناظرة استعارةً شكلية جامدة، بل تُعيد توظيفها في ضوء السياق المعرفي المعاصر ومقتضيات الموضوع المدروس. فقد أكد طه عبد الرحمن أن أخذه بمنهجية المناظرة ليس نقلًا إجماليًا وتفصيليًا لها، وإنما هو نقل حيّ لأركانها الأساسية، يراعي

(١) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط ٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥، ص ٢٠-٢١.

مقتضيين جوهريين؛ أحدهما مقتضى تجدد المعرفة العلمية، والآخر مقتضى خصوصية الموضوع المدروس. وهذا التوازن الدقيق بين الأصالة والمعاصرة هو ما يمنح خطابه انسجامه النصي الداخلي، إذ تظل الآليات الحجاجية ملائمة في خصائصها للموضوعات التراثية التي تُنزّل عليها. ولا يكتمل فهم الانسجام الحجاجي في هذا الكتاب دون استيعاب طبيعة المنهجية الاعتراضية التي تحكم بناءه. فقد أكد طه عبد الرحمن أن منهجيته كانت «في مسلكها اعتراضية لا عرضية: فلم تكن تقرر الأحكام تقريرًا وترسلها في عموم التراث إرسالًا، وإنما كانت تفتح باب السؤال، فتورد ما جاز من الاعتراضات على ما ادعاه بعض من تعاطوا لتقويم التراث من أقوال، بل على ما جئنا به نحن من دعاوى، حتى تمحصها كما ينبغي وتقومها بالوجه الذي ينبغي، عملًا بمبدأ تراثي ثالث، مقتضاه أن الظفر بالصواب لا يكون إلا بمعونة الغير.[1]

وتكشف هذه الفقرة عن آلية انسجامية بالغة الأهمية، إذ لا يتقدم النص بحجج أحادية الاتجاه، بل يُخضع دعاواه ذاتها للاعتراض والمساءلة. وهذه الحركة الداخلية الجدلية بين الدعوى والاعتراض والتمحيص هي التي تضمن للنص تماسكه المنطقي وانسجامه الخطابي، وتجعل منه بنية حجاجية متكاملة لا تستغني حلقة فيها عن سابقتها ولا عن لاحقتها. وفي سياق نقده للنزعة التجزيئية في تقويم التراث، يتجلى أثر السياق التداولي في بناء الدلالة المقامية بصورة أجلى. فقد رأى طه عبد الرحمن أن الاشتغال بالآليات المنتجة للمضامين التراثية يؤدي إلى اتخاذ موقف تكاملي من التراث، وأن التوجه الآلي راسخ رسوخًا في الممارسة التراثية، وأنه مانع من المفاضلة بين عناصرها المختلفة. ولعل أوضح ما تجلى ذلك في نقده للتقسيم الثلاثي الذي اعتمده الجابري، حين قال: «إن التقسيم الثلاثي: البرهان والبيان والعرفان تقسيم فاسد، ودليل فساده ازدواج المعايير المتبعة في وضعه، هذا الازدواج الذي لا يؤدي إليه إلا عدم

(١) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص ٤٢١.

تحصيل الملكة في العلوم الصورية والمنهجية.(١)

وهذا النقد بعينه يكشف عن وظيفة السياق التداولي في توجيه الدلالة المقامية، فالمقام هنا مقام مناظرة ومحاجّة، ومن ثم تُبنى الدلالة على أساس الاعتراض المنطقي المُحكَم لا على أساس الرفض الأيديولوجي المجرد. والانسجام النصي ينبثق تحديدًا من هذا التوافق بين المقام وطريقة بناء الحجة، إذ لا تعترض الحجةُ الحجةَ بالهدم المطلق بل بالتفنيد المنطقي المستند إلى مبادئ علم التداول وأصول المناظرة. وحين انتقل طه عبد الرحمن إلى مناقشة مفهوم الحداثة في كتابه "روح الحداثة"، ظل السياق التداولي حاضرًا بوصفه المحرك الأعمق للدلالة. فقد أسّس موقفه من الحداثة الغربية على أرضية تداولية وأخلاقية في آن، مؤكدًا أن: «ليست روح الحداثة، كما غلب على الأذهان، من صنع المجتمع الغربي الخاص، حتى كأنه أنشأها من عدم، وإنما هي من صنع المجتمع الإنساني في مختلف أطواره، إذ إن أسبابها تمتد بعيدًا في التاريخ الإنساني الطويل؛ ثم لا يبعد أن تكون مبادئ هذه الروح أو بعضها قد تحققت في مجتمعات ماضية بوجوه تختلف من وجوه تحققها في المجتمع الغربي الحاضر؛ كما لا يبعد أن يبقى في مُكنتها أن تتحقق بوجوه أخرى في مجتمعات أخرى تلوح في آفاق مستقبل الإنساني.(٢)

وتتكشف في هذا الاقتباس الوظيفةُ المقامية للسياق التداولي في أجلى صورها؛ فالمقام مقام تأسيس حداثة بديلة، والخطاب يحتاج إلى إزاحة المرجعية الغربية عن مركز الحداثة الكونية، لا بالرفض المطلق، بل بإعادة توزيع المفهوم توزيعًا تاريخيًا وحضاريًا أشمل. وهذا التحريك الدلالي للمفهوم داخل سياقه التداولي هو ما يصنع انسجام النص ويضمن تقدمه نحو غايته المعرفية. ثم يُتوِّج طه عبد الرحمن هذا البناء التداولي بدعوته إلى قراءة جديدة للقرآن الكريم بوصفها المدخل الحقيقي

(١) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص ٥٥.

(٢) طه عبد الرحمن، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦. ص١٩٠.

للحداثة الإسلامية، فيقول: «لا دخول للمسلمين إلى الحداثة إلا بحصول قراءة جديدة للقرآن الكريم، ذلك أن القرآن، كما هو معلوم، هو سرّ وجود الأمة المسلمة وسرّ صنعها للتاريخ؛ فإذا كان هذا الوجود والتاريخ ابتدآ مع البيان النبوي أو قل القراءة النبوية للقرآن، فدشنت بذلك الفعل الحداثي الإسلامي الأول... فإن استئناف هذا الوجود لعطائه ومواصلة هذا التاريخ لمساره، وتاليًا، تدشين الفعل الحداثي الإسلامي الثاني، كل هذا لا يتحقق إلا بإحداث قراءة أخرى تُجدد الصلة بهذه القراءة النبوية، ومعيار حصول هذا التجديد هو أن تكون هذه القراءة الثانية قادرة على توريث الطاقة الإبداعية في هذا العصر كما أورثتها القراءة المحمدية في عصرها.(١)

وبهذا التأسيس التداولي المحكم يبلغ الانسجام النصي ذروته في "روح الحداثة"؛ فالنص لا يُفصح عن نتائجه ابتداءً، بل يبنيها تدريجيًا عبر تراكم الحجج وتصاعدها، وصولًا إلى دعوة الإبداع الحداثي الإسلامي الأصيل. وتظل آلية المناظرة الحجاجية في كل هذا المسار الخيطَ الناظم الذي يربط دوالّ النص بمدلولاتها، ويضبط العلاقة بين السياق التداولي والدلالة المقامية، محولًا الكتاب من عرض نظري إلى فعل تداولي حقيقي يُعيد رسم حدود المفاهيم ويُنتج وعيًا حضاريًا جديدًا.

٢.٤.المطلب الثاني: الانسجام عبر "التخلّق السلوكي"

يرى طه عبد الرحمن أن الانسجام النصي والمعرفي يتجاوز البناء الصوري للغة ليتجذر في ممارسة إنسانية شاملة، حيث يعتبر معيار "التخلّق السلوكي" أداة مركزية لربط الخطاب الفلسفي بالواقع العملي. ويتحقق هذا الانسجام من خلال وصل المصطلحات بسياقاتها الحية، إذ يُعرَّف هذا المعيار بأنه: "وهو ربط المصطلح بمقام الكلام ومقتضيات السياق، واعتبار ملابسات المحيط، وتجاوز مستويات الدلالات المجردة للمصطلح إلى الدلالات العملية مما يظهر في سلوك

(١) طه عبد الرحمن، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ص ١٩١.

الإنسان وممارساته".[١] وبذلك، يصبح النص منسجمًا ليس فقط في بنيته اللفظية، بل في قدرته على توجيه السلوك الإنساني وتحويل الدلالات الذهنية إلى أفعال محسوسة داخل المجال التداولي.

ويتجلى هذا النوع من الانسجام في كتاب "روح الحداثة" عبر الربط الضروري بين النظر والعمل، حيث يرفض طه عبد الرحمن الاكتفاء بالعقل المجرد الذي يفصل المعرفة عن الأخلاق. فهو يؤكد أن تمام المعرفة لا يكون إلا بتجسيدها سلوكيًا، ويقرر في هذا الصدد: "أن كل معرفة عقلية كاملة لا بد لها من أن تنتقل من مستوى التمييز المجرد إلى مستوى التخلق السلوكي، حتى ولو كانت علمًا نظريًا أو آليات كاللغة والمنطق والحساب؛ لأن التخلق بها سبب في نفوذ المعاني والقيم إليها".[٢] إن هذا "التخلّق" هو الذي يمنح الآليات المنطقية واللغوية روحًا حداثية أصيلة، مما يجعل النص الفلسفي بناءً متماسكًا يجمع بين قوة الحجة واستقامة السلوك.

ويتعزز الانسجام النصي عند طه عبد الرحمن من خلال "مبدأ التصديق" الذي يستلزمه السياق التداولي الإسلامي، وهو المبدأ الذي يفرض مطابقة القول للفعل لتحقيق الصدق والنزاهة في التخاطب. ويأتي هذا المبدأ بوصفه: "الداعي إلى وجوب ربط القول بالفعل والنظر بالعمل".[٣] ومن خلال هذا المبدأ، يرتفع الخطاب من مرتبة "التأدب الاجتماعي" المغرض الذي قد لا يتعدى المجاملة، إلى مرتبة "التخلّق" المخلص الذي ينشد الكمال السلوكي. وبذلك، يضمن السياق التداولي انسجامًا نصيًا يقوم على "الإخلاص" و"القصد"،

---

(١) عبد الرحمن، فقه الفلسفة ١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م، ص٢٣٦. محمد هُمام، "المنظور التداولي في صناعة المصطلح في معجم طه عبد الرحمن"، مجلة تجسير، جامعة قطر، المجلد ٥، العدد ١، ٢٠٢٣، ص ٥١.

(٢) عبد الرحمن (طه)، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، ط ٤، ٢٠٠٦م. ص١٤٧.

(٣) صديقي عبد الوهاب، "الحوار والحجاج والتخاطب الإنساني عند طه عبد الرحمن"، مجلة فصل الخطاب، المجلد ٣، العدد ١٠، جوان ٢٠١٥، ص ٤٧.

مما يجعل من الحداثة الإسلامية مشروعًا أخلاقيًا يزود المسلم بأسباب "العقل الكامل" الذي يجمع بين العلم والقيمة.

خاتمة البحث:

سعى هذا البحث إلى دراسة أثر المقاربة التداولية في الدرس النحوي عند فاضل صالح السامرائي، من خلال الكشف عن طبيعة العلاقة بين البنية النحوية والسياق التداولي، وبيان الدور الذي تؤديه القرائن المقامية والقصدية في توجيه المعنى النحوي. وقد أظهرت الدراسة أن النحو العربي لم يكن علمًا شكليًا جامدًا، بل كان قائمًا على فهم المعنى واستحضار السياق، وهو ما أعادت التداولية الحديثة تأكيده ضمن إطار نظري معاصر. وقد مثّلت جهود السامرائي نموذجًا بارزًا لإحياء البعد الوظيفي للنحو العربي، إذ تعامل مع القاعدة النحوية بوصفها وسيلة لتحقيق الدلالة، لا غاية مستقلة بذاتها، فربط بين الاختيار التركيبي والمقصد الدلالي، وبين النظام اللغوي والاستعمال الفعلي للغة.

وكشف تحليله للنص القرآني عن وعي عميق بوظائف التقديم والتأخير، والحذف، والتنوع التركيبي، بوصفها آليات تداولية تسهم في إنتاج المعنى وتوجيه فهم المتلقي. وبذلك يؤكد البحث أن المنهج التداولي يفتح أفقًا جديدًا لقراءة التراث النحوي العربي قراءة وظيفية حديثة، تجمع بين أصالة التراث ومناهج اللسانيات المعاصرة، وتسهم في تجاوز النظرة التقليدية التي حصرت النحو في إطار القواعد المجردة.

أهم النتائج:

١. أثبتت الدراسة أن النحو العربي يمتلك أساسًا تداوليًا أصيلًا قائمًا على مراعاة المقام والسياق.

٢. أبرز السامرائي العلاقة الوثيقة بين البنية النحوية والمعنى المقصود، مما يجعل الدلالة محور التحليل النحوي.

٣. كشفت الدراسة أن الظواهر النحوية مثل الحذف والتقديم والتأخير ليست تحولات شكلية، بل وسائل تداولية لتحقيق أغراض بلاغية ودلالية.

٤. أسهم المنهج التداولي في إعادة تفسير كثير من القضايا النحوية بعيدًا عن الجمود القاعدي.

٥. أظهر تحليل السامرائي للنص القرآني قدرة النحو العربي على

استيعاب تعدد المعاني تبعًا للسياق التداولي.

٦. أكدّت الدراسة أن التكامل بين النحو والتداولية يسهم في تطوير الدراسات اللغوية العربية المعاصرة.

التوصيات:

١. توسيع تطبيق المنهج التداولي في دراسة التراث النحوي العربي وإعادة قراءته في ضوء المناهج اللسانية الحديثة.

٢. الاستفادة من الدراسات التداولية في تدريس النحو العربي لتعزيز فهم المعنى بدل الاقتصار على حفظ القواعد.

٣. تشجيع الدراسات المقارنة بين جهود النحاة القدامى والرؤى التداولية الحديثة للكشف عن الامتدادات المعرفية المشتركة.

٤. توجيه الباحثين إلى دراسة أعمال فاضل صالح السامرائي دراسة منهجية شاملة بوصفها نموذجًا معاصرًا للنحو الوظيفي.

٥. ربط الدراسات النحوية بتحليل الخطاب والنصوص التطبيقية، خاصة النص القرآني والأدبي.

٦. تطوير المناهج التعليمية الجامعية بحيث تجمع بين التحليل النحوي والبعد التداولي والتواصلي للغة.

المصادر

١. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٢. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٣. الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٤. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م.

٥. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٥م.

٦. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٩م.

٧. طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢م.

٨. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

٩. طه عبد الرحمن، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

١٠. طه عبد الرحمن، سؤال العمل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٢م.

١١. طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة (1)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.

١٢. طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، ط٤، ٢٠٠٦م.

١٣. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٤. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٥. إدريس مقبول، أفق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

١٦. حسان الباهي، الحوار ومنهجية النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، ٢٠٠٤م.

ثانيًا: الأبحاث والمقالات العلمية

١٧. عبد المجيد الصغير، "الرؤية التداولية للتراث في مشروع طه عبد الرحمن الفكري: من سياسة الخطاب إلى منطق الخطاب"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

١٨. محمد هُمام، "المنظور التداولي في صناعة المصطلح في معجم طه عبد الرحمن"، مجلة تجسير، جامعة قطر، المجلد ٥، العدد ١، ٢٠٢٣م.

١٩. صديقي عبد الوهاب، "الحوار والحجاج والتخاطب الإنساني عند طه عبد الرحمن"، مجلة فصل الخطاب، المجلد ٣، العدد ١٠، جوان ٢٠١٥م.

٢٠. "أثر السياق اللغوي وغير اللغوي في إبراز المعنى التداولي في العربية"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تمنغست، الجزائر، المجلد ١٠، العدد ١، ٢٠٢١م.

٢١. مجال واركاني، "الدلالات الاستلزامية في القرآن الكريم من خلال

تفسير التحرير والتنوير"، مجلة المعرفة، العدد ٩، ٢٠٢٣م.

٢٢. بلخيري لخضر، "الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث: طه عبد الرحمن أنموذجًا"، جامعة بسكرة.

ثالثًا: الرسائل الجامعية

٢٣. ساكر سمية، قصد المتكلم وأثره في توجيه الأحكام النحوية في كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة، ٢٠١٩م.

٢٤. مفهوم الخطاب الفلسفي عند طه عبد الرحمن، مذكرة ماستر، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة.

References

- abn manzurin, lisan alearabi, tahqiqu: eamir 'ahmad haydar, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 2005m.
- abin fars, maqayis allughati, tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, dar aljili, birut, di.t.
- alzamakhshiri, 'asas albalaghati, tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1998m.
- tah eabd alrahman, tajdid almanhaj fi taqwim altarathu, almarkaz althaqafii alearabii, aldaar albayda', ta1, 1994m.
- tah eabd alrahman, tajdid almanhaj fi taqwim altarathu, almarkaz althaqafii alearabii, aldaar albayda', ta2, 2005m.
- tah eabd alrahman, tajdid almanhaj fi taqwim altarathu, almarkaz althaqafii alearabii, aldaar albayda', ta2, 2009m.
- tah eabd alrahman, alhaqu alearabiu fi aliakhtilaf alfalsafi, almarkaz althaqafii alearabii, aldaar albayda', ta1, 2002m.
- tah eabd alrahman, allisan walmizan 'aw altakawthur aleaqli, almarkaz althaqafiu alearabii, aldaar albayda', ta1, 1998m.

almumarasat alturathiat alearabiati, ealam alkutub alhadith lilnashr waltawziei, al'urduni, ta1, 2011m.

- hasan albahi, alhiwar wamanhajiat alnaqdii, 'iifriqia alsharqa, almaghribi, du.ti, 2004m.
- thanyan: al'abhath walmaqalat aleilmia
- eabd almajid alsaghir, "alruwyat altadawuliat lilturath fi mashrue tah eabd alrahman alfikri: min siasat alkhitab 'iilaa mantiq alkhatabi", muasasat muminun bila hudud lildirasat wal'abhathi.
- muhamad humam, "almanzur altadawulii fi sinaeat almustalah fi muejam tah eabd alrahman", majalat tajsira, jamieat qutra, almujalad 5, aleadad 1, 2023m.
- sidiqi eabd alwahaabi, "alhiwar walhujaaj waltakhatub al'iinsanii eind tah eabd alrahman", majalat fasl alkhatabi, almujalad 3, aleadad 10, jwan 2015m.
- tah eabd alrahman, ruh alhadathati: almadkhal 'iilaa tasis alhadathat al'iislamiati, almarkaz althaqafii alearabii, aldaar albayda', 2006m.
- tah eabd alrahman, sual aleamala, almarkaz althaqafiu alearabii, aldaar albayda', ta1, 2012m.
- tah eabd alrahman, fiqh alfalsafa (1), almarkaz althaqafiu alearabii, aldaar albayda', 1999m.
- tah eabd alrahman, aleamal aldiyniu watajdid aleaqla, almarkaz althaqafia alearabia, ta4, 2006ma.
- mahmud 'ahmad nahlat, afaq jadidat fi albahth allughawii almueasiri, dar almaerifat aljamieiati, alqahirati, 2002m.
- maseud sahrawi, altadawuliat eind aleulama' alearabi, dar altalieati, bayrut, ta1, 2005m.
- 'iidris maqbula, 'ufuq altadawuli: nazariat almaenaa walsiyaq fi

- bilkhayriun likhadar, "aliastilzam alhawarii fi aldars allisanii alhadithi: tah eabd alrahman anmwdhjan", jamieat bisakratin.
- thalthan: alrasayil aljamieia
- sakir samyat, qasad almutakalim wa'atharah fi tawjih al'ahkam alnahwiat fi kitab almuqtasad fi sharh al'iidah lieabd alqahir aljirjani, mudhakirat majistir, jamieat muhamad khudayr bisakrata, 2019m.
- '"athar alsiyaq allughawii waghayr allughawii fi 'iibraz almaenaa altadawulii fi alearabiati", majalat 'iishkalat fi allughat wal'adabi, jamieat tminghist, aljazayar, almujalad 10, aleadad 1, 2021m.
- mjal warkani, "aldilalat aliastilzamiat fi alquran alkarim min khilal tafsir altahrir waltanwiri", majalat almaerifati, aleadad 9, 2023m.
- mafhum alkhitab alfalsafii eind tah eabd alrahman, mudhakirat mastar, jamieat 'akli muhanad 'uwlhaji, albuayr.